الفرقان في حياة رسول اللهρ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللهρ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ! قال أقرأنيها رسول اللهρ ، فقلت كذبت فإن رسول اللهρ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول اللهρ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول اللهρ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول اللهρ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.

وفي رواية عن عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول اللهρ، فخرجا إلى رسول اللهρ حتى أتياه فذكرا ذلك له، فقال رسول اللهρ: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأي ذلك قرأتم فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر.

ويروى عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها عن رسول اللهρ فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول اللهρ فذكر أبو جهم أن رسول اللهρ قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فإن المراء فيه كفر.

القراءات القرآنية واللهجات[1]

(KUR'AN KIRAATLERİ VE LEHÇELER)

روي عن أبيّ بن كعب τ، قال "دخلت المسجد أصلي، فدخل رجل فافتتح النحل، فقرأ، فخالفني في القراءة، فلما انتقل قلت: من أقرأك؟ قال رسول الله ρ ، ثم جاء رجل فقام يصلي، فقرأ وافتتح النحل فخالفني وخالف صاحبي، فلما انتقل قلت: من أقرأك؟ قال رسول اللهρ. قال: فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فانطلقت بهما إلى النبيρ فقلت: استقرئ هذين، فاستقرأ أحدهما وقال: أحسنت. فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية. ثم استقرأ الآخر وقال: أحسنت. فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فضرب رسول الله ρ صدري بيده فقال: أعيذك بالله يا أبيّ من الشك، ثم قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد وقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد وقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف".

وفي حديث البخاري أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة

[1] ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص. ٤٧-٥١

ولست أدري سر هذا الاختلاف، وتعدد الأوجه، إلا أن نعزوه إلى اجتهاد المتقدمين، ومحاولتهم التوفيق بينه وما تواضعوا عليه في شأن القراءات. ونحن لا نشك الآن في أن للحديث وجهاً واحداً، يتفق والمنطق الإسلامي الذي يتلخص في أن الدين الإسلامي قد دعا الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، إلى الإيمان به، واتخاذه عقيدة لهم. فلم يبعث النبي ρ لشعب خاص من الشعوب، وإنما أرسل إلى الناس كافة. هذا إلى أن الدين يسر لا عسر، فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يشق على الناس أمر من الأمور.

فنحن حين ننظر إلى هذا الحديث في ضوء الروح الإسلامي نرى أنه ليس إلا إحدى تلك الوسائل التي أريد بها التيسير على الناس، ومنع المشقة عنهم. فالمسلم أياً كانت لهجته، وأياً كانت بيئته، وأياً كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر إلا عليها، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته. ويجب أن لا ننكر عليه، أو أن نهزأ من قراءته، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهاده.

وجميع الروايات التي صاحبت قول هذا الحديث تؤيد ما نذهب إليه من أن النبي ρ لم يرد به إلا أن يمنع الناس من القدح في قراءة غيرهم، وإنكارها عليهم. وقد نادى بمثل هذا الرأي بعض العلماء الأقدمين. فقد روى ابن الجزري في الجزء الأول من كتابه "النشر في القراءات العشر" ما نصه "كانت العرب الذين

وجاء زيد بن أرقم إلى رسول اللهρ فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبيّ بن كعب فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول اللهρ وعليّ إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل. هذه هي بعض الروايات التي بينت لنا أن النبيρ كان يجيز قراءات الناس، ولا ينكرها عليهم، متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم وما تعودوه من طريقة النطق.

على أن هذه الروايات في مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام، فليست تبين لنا بجلاء نص الآية أو الكلمة التي اختلف في قراءتها، ولا نوع الخلاف في تلك القراءات؛ أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يعزى إلى تباين اللهجات والألسنة، أم كان في أمر آخر، لا نعلم على اليقين؛ إذ نرى معظم هذه الروايات تشير إلى آية يقرؤها رجل ما، فالآية مجهولة ونوع الخلاف مجهول، فالقارئ لا نكاد ندري شيئاً عن بيئته ولهجته وما يمكن أن يكون قد تأثر به، ولكنا مع كل هذا أو رغم كل هذا نرجح أن الخلاف بين القارئين لم يكن يعدو تلك النواحي الصوتية التي تفرق بين اللهجات في النطق وطريقة الأداء.

وقد تواترت الروايات على صحة حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، ولكن علماء العربية قد اختلفوا في تفسيره اختلافاً يكاد يبلغ حد الاضطراب. والحديث على وضوحه، وانسجامه مع روح الإسلام، قد أسرف في تأويله وتخريجه إلى حد أن روى له السيوطي في كتابه "الإتقان" أربعين وجهاً!

ويجب ألا تعدو تلك الأحرف النواحي الصوتية، من اختلاف في مخرج الصوت، وتباين في صفته، بين جهر وهمس أو شدة أو رخاوة، أو تباين في موضع النبر من الكلمة، أو مقاييس أصوات اللين إلى غير ذلك من الموضوعات التي يعرض لها علم الأصوات اللغوية؛ لأن لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميزه عن غيره، وتكون جزءاً مهماً مما يسميه المحدثون بالعادات الكلامية.

فقد أنزل القرآن للمسلمين جميعاً لا للعرب وحدهم، وأمروا أن يتعبدوا بما يستطيعون من آياته، بل فرض عليهم قراءة بعض آياته في صلاتهم ونسكهم، فإذا انحرفت الألسنة بعض الانحراف عن النطق الصحيح لألفاظه فليس ذلك إلا عن مشقة وعسر. ومتى صدرت مثل هذه القراءات عن قلب طاهر وإيمان قوي فهي حسنة متقبلة عند الله، فهي نجوى بين المسلم وربه، يقرأ بما يستطيع فيتقبل عند الله، ويستجيب له الله.

وليس معنى هذا أن نتخذ مثل هذه القراءة نموذجاً يحتذى، أو أن نعدّ بين القراءات النموذجية التي يهتدى بها المسلمون، والتي رواها لنا الأئمة في فن القراءات فهناك أمران يجب الفصل بينهما فصلاً تاماً: أولهما القراءة الفردية التي لا تكاد تجاوز بضع آيات من القرآن الكريم، والتي يقوم بها أفراد المسلمين في جميع بقاع الأرض على قدر ما تسمح به عاداتهم في النطق، وثانيهما: تلك القراءات النموذجية التي سجلها نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ρ حيث أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال ρ أسأل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف مالا يستطاع".

وقال ابن قتيبة في كتاب المشكل "فكان تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ρ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم، ما جرت عليه عاداتهم، فالهذلي يقرأ "عتّى حين"، والأسدي يقرأ "تعلمون"، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز...إلخ".

والفرق بيننا وبين أصحاب هذا الرأي هو أنهم قصروا الأمر على لهجات العرب في حين أننا نجعله أعم وأشمل، أيْ أن قصد التيسير والتسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم، في الماضي والحاضر والمستقبل.

فليست تلك الحروف السبع التي أجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية، بل تشمل جميع لهجات المسلمين في جميع بقاع الأرض. فإذا قرأ الهندي المسلم القرآن أمامنا، ولاحظنا الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته، فهي غاية جهده، ولا يقدر على غيرها.

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً}(9، سورة التوبة،80) وإن تستغفر لهم سبعين مرة... "إلخ.

SÖZLÜK

اِفتَتَحَ - يَفتَتِحُ(ف ت ح) (fiil/sülâsi mezid humâsi/iftiâl babı); "başlamak, açmak"

أقرَأَ- يُقرِئُ (ق ر أ) "okutmak, nasıl okunacağını öğretmek" (sül. mez. rubâi/if'âl);

سَاوَرَ- يُساوِرُ (س و ر) (sül. mez. rubâi/mufâale); "üzerine atlamak, sıçramak"

تَصَبَّرَ-يَتَصَبَّرُ (ص ب ر) (sül. mez. humâsi/tefa'ul); "sabretmek, tahammül etmek"

لَبَّبَ - يُلَبِّبُ(ل ب ب) (fiil/sülâsi mezid rubâi/tef'îl babı); "tutup çekmek"

قَادَ- يَقودُ (ق و د) (fiil/sülasi mücerred/I. bab); "götürmek"

لا تُمارُوا (م ر ي) (nehy-i hâzır); "şüphe etmeyin"

الْمِراءُ (م ر ي) (isim/masdar); "şüphe, tartışma"

تَعَوَّدَ- يَتَوَعَّدُ (ع و د) (sülasi mezid humâsi/tefa'ul babı); "alışmak"

شَابَ – يَشوبُ (ش و ب) (sülâsi mücerred/I. bab); karışmak, saflığını bozmak"

الغُموضُ (غ م ض) (isim/masdar); "kapalılık, anlaşılmazlık"

الجَلاءُ (ج ل و) (isim/masdar) ; "açıklık, netlik, vuzûh"

يُعزَى إلى (ع ز و/ي) (meçhul muzari); "dayandırılır, isnat edilir"

التَبايُنُ (ب ي ن) (masdar); "farklılık, benzememe"

علماء التجويد وجعلوا منها فناً متميز الأصول سموه بعلم القراءات.

ولعلّ السرّ في اضطراب المفسرين لهذا الحديث أنهم خلطوا بينه وبين القراءات السبع التي رواها ووضع أسسها ابن مجاهد؛ فظن بعض الشراح أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، وما كانت كلمة السبع في كل من الأمرين إلا مجرد المصادفة، وقد اختلف معناها في الحديث عن المعنى الذي أراده ابن مجاهد. ولو أن ابن مجاهد قد عالج القراءات النموذجية على أنها عشر قراءات كما فعل الذين جاءوا بعده؛ ما حدث ذلك الربط بين الحديث وفن القراءات. فللحديث اتجاه خاص يخالف ما اتجه إليه أئمة القراءات وعلماؤها.

أما الناحية العددية في الحديث، فليس المراد قصر الأحرف على العدد سبعة، بل المراد مجرد التعدد، وهو ما ينسجم مع العقلية السامية. لأن العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب السامية. وقد أشار إلى هذا ابن الجزري في الجزء الأول من كتابه "النشر" صفحة ٢٥، إذ يقول ما نصه: "وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السعة والتيسير وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب، من حيث أن الله تعالى أذن لهم في ذلك. والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة، ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص؛ بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، قال تعالى: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ}.(2ن سورة البقرة،261) وقال: {إِنْ

السَّعَةُ (و س ع) (isim/masdar); "genişlik"

الحَصرُ (ح ص ر) (isim/masdar); "sınırlama, tahdit"

ALIŞTIRMALAR

التدريب الأول: أكمل هذه الجمل.

1. لا شكّ في أن الدين الإسلامي قد دعا الناس كافة، في مشارق الأرض ومغاربها إلى...

A. ترك المعاصي

B. الإيمان به

C. أخذ الخراج

D. الجنة

E. التدبر

2. لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميزه عن غيره، وتكون جزءاً مهماً مما يسميه المحدثون بِـ..

A. العادات الكلامية

B. الأخلاق الحسنة

C. الأعراف

D. العادات الاجتماعية

E. الوظائف

التراكيب:

التدريب الثاني: اِخْتَرْ مُرَادِفَ الْكَلِماتِ الَّتي تَحْتَهَا خَطٌّ.

1. ولعلّ السرّ في اضطراب المفسرين لهذا الحديث أنهم خلطوا بينه وبين القراءات السبع.

عَدَا – يَعدُو (ع د و) (sül. müc./I. bab); "geçmek, aşmak, atlamak, ihmal etmek"

الاِضطِرابُ (ض ر ب) (masdar); "karmaşa, düzensizlik"

شَقَّ–يَشُقُّ عَلى (ش ق ق) "zor/ağır gelmek" (sülasi mücerred/I. bab);

العَضَلاتُ (م:عَضَلَةٌ) (ع ض ل) (kuralsız çoğul); "kaslar, adaleler"

هَزَأَ– يَهزَأُ مِن (ه ز أ) (sülasi mücerred/III. bab); "alay etmek"

صاحَبَ – يُصَاحِبُ (ص ح ب) (sülâsi mezid rubâi/mufâale babı); "eşlik etmek"

القَدْحُ (ق د ح) (isim/masdar); "eleştirme, hata bulma"

المعافاةُ (ع ف و) (isim/masdar); "bağışlama, uzak tutma"

المعونَةُ (ع و ن) (isim); "yardım, destek"

العُدولُ (ع د ل) (isim); "sapma, ayrılma"

هَمَزَ– يَهمِزُ (ه م ز) (sülasi mücerred/II. bab); "hemzeli okumak"

قَصَرَ– يَقصُرُ على (ق ص ر) (sülâsi mücerred/I. bab); "hasretmek, sınırlı tutmak"

الجَهرُ (ج ه ر) (isim/masdar); "sesin aşikar kılınması, açıklık, aleniyet"

الهَمسُ (ه م س) (isim/masdar); "sesin gizlenmesi, gizlilik"

الرَّخَاوَةُ (ر خ و) (isim/masdar); "sesin akması"

النَّبرُ (ن ب ر) ; "vurgu, vurgulama" (isim/masdar)

اللِّينُ (ل ي ن) (isim); "yumuşak"

النَجْوَى (ن ج و) (isim); "gizli konuşma"

يُحتَذَى (ح ذ و) (meçhul muzâri); "örnek alınır, taklit edilir"

التدريب الرابع: أَعرِبْ ما تحته خطّ في الجمل التالية.

1. فقد أنزِل القرآن للمسلمين جميعاً لا للعرب وحدهم، وأمروا أن يتعبدوا بما يستطيعون من آياته.

A. مفعول به
B. نائب الفاعل
C. مضاف
D. حال
E. توكيد

2. وليس معنى هذا أن نتخذ مثل هذه القراءة نموذجاً يحتذى، أو أن نعدّ بين القراءات النموذجية التي يهتدى بها المسلمون.

A. صفة B. حال
C. خبر D. توكيد
E. مفعول به

3. يقوم بها أفراد المسلمين في جميع بقاع الأرض على قدر ما تسمح به عاداتهم في النطق.

A. حال B. نائب الفاعل
C. فاعل D. مفعول به
E. مضاف

الفقرات:

التدريب الخامس: اختر الجملة الغريبة في الفقرة التالية

(I) فالمسلم أياً كانت لهجته، وأياً كانت بيئته، وأياً كانت تلك الصفات

A. مزجوا
B. أخذوا
C. لوّنوا
D. ميّزوا
E. اختاروا

2. ويروى أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها عن رسول الله.

A. يصدق B. يحكم
C. يكذب D. يدّعي
E. يتكلم

التدريب الثالث: اِخْتَرْ مُضادَّ الْكَلِماتِ الَّتي تَحْتَهَا خَطٌّ.

1. سكت رسول الله ρوعليّ إلى جنبه.

A. استمرّ
B. نطق
C. أومأ
D. أنصت
E. استكمل

2. يجب ألا تعدو تلك الأحرف النواحي الصوتية، من اختلاف في مخرج الصوت، وتباين في صفته.

A. تفاوت
B. تمايل
C. تسامح
D. تدارك
E. تشابه

القواعد:

الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر إلا عليها (II)يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته(III) ويجب أن لا ننكر عليه، أو أن نهزأ من قراءته (IV) فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهاده (V) فترسل هذه الأوامر على شكل موجات صوتية

A. I

B. III

C. V

D. II

E. IV